شيماء أحمد..

(11) ملكة كل العصور

كانت مريم متيمة بها، إنّ ما تشعر به تجاهها ليس حبًا عاديًا، بل هو شغفٌ وصل للجنون؛ فقد كانت تراها ملكةً لكل العصور، فهي الملكة التي مزجَت بين جمال البطالمة وسحر الشرق، إنها القوة.. والأنوثة.. والذكاء.. والفتنة التى خطفت لب الملوك، وقد كانت مريم مجنونة بالبحث عن كل ما يخصّ معشوقتها؛ فقد بلغ عدد الكتب التى اشترتها لأنّها تحمل سيرتها عشرين كتابًا، ولم تكتفِ بذلك، بل راحت تجوب المواقع الإلكترونية ومجموعات المهتمين بحياة الفراعنة؛ لتتزود بالكثير من المعلومات عن ملكتها، وقامت بعمل موقع إلكتروني دشّنَت فيه ما عرفته، وفى يوم ذهبَت لتبتاع بعض الكتب، وهناك أذهلَتْهَا المفاجأة؛ حيث وقع نظرها على مجلد قديم تكسُوه الأتربة، وتعلوه عشرات الكتب؛ فلا يبدو منه إلا طرف ظهرت منه رسومات فرعونية رائعة أخفاها الثّرى، فبالكاد ظهرَت باهتة؛ فأبعدت الكتب وتناولته بحرص شديد خشيَةَ التمزّق بين يديها، قادتها روحُها نحوه بشغف شديد، وجحظَت عيناها، إنه كتاب بالإنجليزية المعزّزَة ببعض المصطلحات الفرعونية، كتبَه عالم بريطاني قديم.... إنه كنز، هكذا ردّد قلبها وهو يكاد يقفز من بين ضلوعها فرحًا، ثم هدّأت من روع قلبها، ورسمَت اللامبالاة على وجهها، وقالت للبائع وهي تنفضُ التراب عن الكتاب وهي تمثل اللامبالاة وتعزّزها بنبرة برود.

- بكَم هذا الكتاب الرث ذائب الأوراق؟

فأجابها الرجل مدافعا عن الكتاب:

- إنه كتاب قيم، وهو بخمسين جنيهًا.

فقالت معترضة:

- إنه ممزق، ورَثّ، سأعطيك فيه ثلاثين جنيهًا، إنه كتاب قديم جدًا ومنتهي الصلاحية، من كان سيشتريه منك؟!

قالتها بعدم اكتراث لنظرات الرجل، فقال:

- سأعطيكِ إياه بخمسة وثلاثين جنيهًا.

فناولته المبلغ، وقد لغَت فكرة البحث عن أي كتب أخرى وكأنها وجدَت ضالتها في هذا الكتاب، وتوجّهَت لمنزلها وعجّلَت الخُطَى لغرفتها: فقد كانت ملهوفة للاطّلاع على محتوى الكتاب، ثم جلسَت على سريرها وفتحت الكتاب بحذر، وكأنه طفلها تخشَى عليه من الهواء، وراحت تقرأه بنَهَمٍ، متجاهلة نداءَات والدتها لتناول الطعام: مما اضطر الثانية لإحضاره إليها في غرفتها؛ لمَا تعرفه من جنون ابنتها بالقراءة والكتب، ولَمْ تسلَم مريم كالعادة من توبيخ أمها، ولكنها لم تبالي، بل أخذَت تنهل من الكتاب بشغف، حتى أوقفها النوم، وفي المنام وجدَت نفسها أمام أجمل امرأة في التاريخ، بزيّها الفرعوني: فألقَت عليها التحية قائلة:

- مرحبًا عزيزتي مريم.

فجحظت عيناها متسائلة:

- أهذه أنتِ ملكتي المبجلة؟!

- بلى عزيزتي، وقد جئتُكِ خصيصًا.

قالت بتلعثم:

- جئتيني أنا؟!

- بلى جئتكِ أنتِ، وجئتُ لأعرض عليكِ أن تكوني مساعدتي؛ لأني أعرف أنكِ تحبينني بصدقٍ وإخلاص..

فقاطعتها مريم وقد اغرورَقَت عيناها بالدموع:

- بلى أحبكِ جدًا ملكتي المبجّلَة، وأنا لا أصدق أنني أمامك أحادثك، أنا في قمة السعادة.

- أعرف عزيزتي، ولم أنسَ لكِ ذلك، وسيكون لكِ شأنٌ عظيم، وسأكافئك؛ فقد اخترتُكِ دون الجميع لتكوني مساعدتي وذراعي اليمين.

برقَت عيون مريم، وتمتمَتْ متسائلة باندهاش:

- أنا؟!

- بلى أنت ِيا عزيزتي.

- وكيف ذلك سموّ الملكة؟!

- سأخبركِ، ولكن عليكِ أن تنصتي وتستوعبي ما سأخبركِ به، أغلب ما جاء عني في الكتب التى قرأتيها ليس صحيحًا؛ فتلك المقبرة التى وجدوها ليسَت مقبرتي، وذلك الجثمان اللعين ليس لي.

- كيف ذلك سموّ الملكة؟! فقد وجدوا بعض النصوص.

- لقد ترجموها بطريقة خاطئة، كما أننا استخدمنا بعض أساليب التمويه حتى لا تُسرق المقبرة، وهذه المقبرة التى عثروا عليها هى مقبرة إحدى وصيفاتي.

- يا الله! لقد ظننّاها لكِ طوال هذه الأعوام مقبرتك.

- اسمعيني عزيزتي.. علينا أن نتّفق.

- كلي آذان مُصغِية سموّ الملكة.

- عليكِ ألا تُخرجي سِرّي لأحد، وإلا حلّت عليكِ لعنتي.

- لن أفعلها مولاتي، لن أخبر أحدًا، صدقيني، أرجوك ِ لا تؤذيني.

- حسنًا... سآخذكِ لرحلة لحياتي السابقة، وأريكِ كيف كانت مملكتي، وأصحّح لكِ بعض المعلومات، أما غدًا فستأتين معي لمكان مقبرتي، وسأنزع روحك من جسدك لبعض الوقت، وأجعل روحي تخترق جسدك وتتغلغله، حتى أقوم باستخراج التابوت الذي يضم جسدي، وأخرج من جسدكِ وأعيدُ روحي لجسدي وتتحقق رحلة البعث والخلود، وأعود ملكة لهذا الكون، ملكة كل العصور.

وشردت مبتسمة لنسائم الحلم، ثم لاحظَت الرعب الذى ارتسم على وجه مريم، وجبينها الذي تصبّب عرقًا في عزّ الشتاء وهي تتمتم متسائلة بشرود:

- تنزعي روحي! وتتغلغل روحكِ جسدي؟!

- لا تخافي من شيء، فقط ثقي في ملكتكِ الحبيبة، سأكافئك، وأجعل لكِ شأنًا عظيمًا، وتكونين مستشارتي على مر العصور.

- أنا أصبح مستشارتكِ وتكافئينني؟!

- بلَى، لو نفّذتي أوامري وأطعتيني، وإلا.....

فقالت مريم منتفضة من شرودها:

- سأطيعكِ سموّ الملكة بالطبع، وهل أستطيع عصيانك، وأنا أكثر الناس معرفَةً بطرق انتقامك ونتائج غضبك! سأكون خادمتك الوفية؛ فشرف لي أن أكون خادمة الملكة الخالدة كليوباترا الجميلة الذكية.

قالَت كليوباترا وقد ملأها الشموخ، وزهَت روحها من نسائم التمجيد التى هبّت عليها:

– بوركتِ عزيزتى، فقد كنت أعلم أنك لن تخذليني، وأنكِ أذكى من أن ترفضي عرضي وتضيّعي فرصتك، والآن أنصتِ لي جيدًا.. غدًا سآتي لأخذك لمقبرتي، أمّا الآن فتعالي معي في رحلة لعالم ملكتك القديم.

وأخذتها في رحلة إلى قصورها، ومعابدها، وحياتها السابقة، وانبهَرَت مريم مما رَأَت ولم تستطع النوم بعد عودتها، وكانت شاردة طوال اليوم بعد رحيل الملكة وانتهاء مغامرتها، وظلّت تفكر.. تُرَى هل أستسلم لأوامرها؟ الآن فقط مصير العالم كله بيدي، أأتركُ كليوباترا تعود لتحكم العالم؟! أنا أعشقها، لكن لا يمكنني خيانة البشرية بأكملها من أجل حبي لها؛ فقد تغير العالم، وبات حلم البعث والخلود مستحيل، ورجُوع حكم الفراعنة أكبر مستحيل، لا نستطيع العيش تحت إدارة من الماضي البعيد، ظلت تفكّر وتفكر حتى غرقَت في التفكير، وأعياها الفكر.

وفى المساء اشتدّت ضربات قلبها حينما رأت كليوباترا قادمة نحوها وهي تلقي عليها التحية بإبتسامة صفراء، ثم قالت لها:

– هل أنت ِ مستعدة عزيزتي لتنفيذ أوامري؟

فقالت لها مريم بلسان يرتجف وعيون مغرورقة بالدموع:

– بلى يا سموّ الملكة.

فابتسمت الملكة ابتسامة مَن خَطَى أُولَى خطوات النصر، ثم اقترَبَت منها وربتَت على كتفها وأخذت تطمئنها، وتحكي لها عن ذلك المجد الذي ينتظرها، وذلك النعيم الذي ستكافئُها به، ثم اقترَبَت منها

وأخذت تتمتِمُ ببعض الكلمات غير المفهومة، ثم نزعَت روحها بقوة السحر، وتغلغَلَت روحها جسد الفتاة، وذهبت نحو مقبرتها، وما أن استخرجَت التابوت بقوة السحر حتى رسمَت ابتسامة النصر على شفتيها، وقبل أن تخترق روحها الجسد القابع في التابوت وجدَت لفيفًا من رجال الأمن ووزير السياحة، وتحفظوا على التابوت؛ فصرخت صرخَةً مدويّة هزت الكون وقتلت روح الفتاة، وهامت في الكون غاضبة.

أما الوزير فأمر بإحضار الطبيب الشرعي الذى أدلَى بتصريحاته بأن جسد مريم كان باردًا وقت حضور الوزير والأمن؛ مما يدل على خروج روحها قبل حضور الوزير، ومما يؤكّد صدق ما ذكرَتْه للوزير في بلاغها على موقع وزارة السياحة؛ فقد ضحّت الفتاة بروحها حفاظًا على البشرية، وأوقفَت حُلم كليوباترا، وكانت السبب في ذلك السبق الأثري العظيم واكتشاف أهمّ مقابر الملوك، ألا وهي مملكة أعظم الملكات على مرّ التاريخ، وأمر الوزير بإطلاق اسم مريم التي أصبحت حديث الصحف والمواقع الإلكترونية على أحد المتاحف.